

الأغاني

يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرا بالليل حتى تنضج فطرح رهنه بذلك فدرس الرجل الذي راهنه رجلا فألقى نفسه في الناووس بين الموتى فلما فرغ من الطبخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له أطمعني فعرف ملاء المغرفة من المرقعة فصبها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له اصبر حتى نطعم الأحياء أولا ثم نتفرغ للموتى فلقب بناووس لذلك فنشأ ابنه مخارق وكان ينادي عليه إذا باع الجزور فخرج له صوت عجيب فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمره بتعليمه فعلمه حتى بلغ المبلغ الذي بلغه .
مخارق يغني للرشيد .

وكان يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويغني وهو واقف فغني ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد .

(كَأَنَّ نَيْرَانَنَا فِي جَنْبِ فَلَا عَتَهُمْ ... مُصَدِّغَاتُ عَلَى أَرْسَانِ قَهَّارِ) .
(هَوَاتُ هِرْقُولَةَ لَمَّ مَا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا ... حَوَائِمًا تَرْتَمِي بِالنَّظْمِ وَالنَّارِ) .

فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات وهو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقله وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره فغمز مخارق إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء فلما جاءه قال له مالي أراك منكسرا قال أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت فقال قد واء أخذته فقال له ويحك إنه الرشيد وابن جامع من تعلم ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت قال دعني وخلاك ذم وعرفه أني أغني به فإن أحسنت فأليك ينسب وإن أسأت فألي يعود فقال للرشيد يا أمير المؤمنين أراك متعجبا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه